هوامش

تنقل ورود «المشاقر» حكايات الفرح والسعادة والجمال في الثقافة الشعبية اليمنية، وأيضاً الإطلالات المبهرة للنساء والرجال معاً، وتشكل عناوين لدواوين شعر شعبية وأغانٍ

خُسن بائعة «المشاقر» من أشهر شخصيات تعز (العربي الجديد)

ورود «المشاقر»

وسيلة تزيين اليمنيين حياتهم بالجمال

تعز ـ **فخر العزب**

مع إشراقة كل صباح، تذهب السيدة اليمنية «حُسن» البالغة 76 سنة إلى مكانها المخصص في السوق المركزي بوسط مدينة تعز، حيث تبيع منذ نحو ثلاثة عقود متواصلة ورود «المشاقر». تقول لـ«العربي الجديد»: «أعمل في بيع المشاقر منذ 45 عاماً، من بينها 30 عاماً في السوق المركزي، وقبلها 15 عاماً في سوق الشنيني، وأربح من هذه المهنة بين 2000 (8 دولارات) و3000 ريال يمني (12 دولاراً) يومياً، وأكفل أسرة تضم 12 فرداً». تضيف: «أشتري المشاقر من جبل صبر حيث تنمو من الثمان للثمان، أي كل أسبوع، وأبيع أنواعاً متعددة منها مثل الشذاب والوزاب والريحان وإكليل الجبل الذي يستخدم في العلاج، والكرادس والنعضة اللذين يستخدمان في إعداد وجبة السحاوق». و«المشاقر» نباتات عطرية متنوعة في الشكل والرائحة، وتستخدم في الزينة للرجال والنساء، كما ترتبط بالموروث الثقافي لليمنيين، وتحضر في جميع مناسباتهم الاجتماعية، ويستخدمها البعض «حرزاً» يحميهم من الأرواح الشريرة بحسب المعتقدات السائدة، كما تستخدم أنواع منها علاجاً لبعض الأمراض، فيما تدخل أنواع أخرى في إعداد بعض الوجبات كالسحاوق والشفوت. و«المشقر»، وهو مفرد «المشاقر»، تعبير عن حالة فرح، فهو يرمز إلى الحب والجمال، لذا فهو وسيلة العشاق للتعبير عن مشاعرهم، كما يعبر عن الامتنان والتقدير حين يهدي شخص المشقر إلى آخر. وكان اليمنيون القدامى يصنعون المواد العطرية من نباتات «المشاقر»، ويستخدمون بذورها وأزهارها وأوراقها الجافة في صناعة البخور والطيب ودهانات الجسم. وهم يزرعون المشاقر بوصفها جزءاً أصيلاً من تراثهم الممتد إلى حاضرهم، والفاعل في ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأعيادهم ومناسباتهم وطقوسهم الدينية والاجتماعية، بما في ذلك المناسبات المتعلقة بثلاثية الأحداث المصيرية والوجودية: الميلاد، والزواج، والموت. وفي واحدة من أشهر أغاني الزفة في اليمن، يغني الفنان أيوب طارش عبسي، من كلمات الشاعر عبد الله عبد الوهاب نعمان الفضول، أغنية بديعة يطلب فيها من النساء أن يقطفن له المشاقر ويرصفنها في زَهريّات، وذلك لما لـ«المشاقر» من قيمة وجدانية ترتبط بالفرح والمناسبات السعيدة. وهي تشبع حاسة النظر والشم واللمس أيضاً، وتعتبر أجمل ما يمكن أن يهديه المرء إلى حبيبه.

تقول كلمات الأغنية:
وا صبايا وا ملاح هيا اقطفين لي مشاقر
وارصفين لي الورود الحمر وسط المزاهر
واطرحين الكوادي البيض بين المباخر
لحبيبي هو حبيب القلب أول وآخر

وتتزين النساء بباقات متنوعة من «المشاقر»، توضع بعضها على الخدود ملفوفة بالمقرمة المعصوبة على رؤوسهن. ويكثر استخدام «المشاقر» مع الأزياء التقليدية خاصة «الصبري». وليس التزين بـ«المشاقر» حكراً على النساء، إذ يتزين العديد من الرجال الكبار في السن بها، ويضعونها بشكل عمودي داخل «المشدة» أو «الدسمال»، وهو الغطاء الموضوع على الرأس، ويحرصون على اختيار «مشاقر» زكية الرائحة ذات لون أخضر. في التراث الغنائي اليمني يحضر «مشقر» الرجل في أغنية «يا نجم يا سامر» للفنان محمد مرشد ناجي، والتي كتبها الشاعر سعيد الشيباني.

ويقول:
الأخضري من العدين بكَّر
مشدته بيضاء ومشقره أخضر

أيضاً يرتبط مظهر شبان بزينة «المشاقر»، وأحدهم الإعلامي نائف الوافي الذي يحرص دائماً على التزين بحزمة متنوعة من منها في إطلالاته وحياته اليومية. يقول نائف الوافي لـ«العربي الجديد»: «انتقلت ثقافة المشاقر لي من أسرتي خصوصاً أمي. منذ أن بدأت بالتعرف على الأشياء في هذه الحياة شاهدت المشاقر في خد أمي، وتعرفت على أنواع المشاقر والورود التي تزرعها وترعاها أمي كل صباح ومساء. بحثت عن شيء محلي من ثقافتنا يميزني، فكان المشقر سيد التميز وسيد الثقافة التعزية بالذات». يضيف: «حرصي على التزين بالمشقر هو حرص مني على الثقافة التي يعرف بها التعزي، وأشعر أنني أحمل إرث من فارقوا الحياة، لكن ثقافتهم لم تمت، وأنا متيّم بأنواع المشاقر، منها الحمحم والوزاب والريحان والشذاب والداجي وورد النرجس والقطائف والقرنفل والكاذي. أما الأنواع المفضلة لدي فهي الحمحم الأخضر والأسود والوزاب والريحان وورد القرنفل والقطائف». ويخبر أنه حين يتزين بـ«المشاقر» يلقى تشجيعاً من الناس من خلال النظرات والابتسامات. ويوضح أن أشخاصاً قليلين يرون أن «المشقر» خاص بالنساء، وفي حين يعتبر البعض أن زينة «المشاقر» غريبة باعتبارها أشبه بشجرة على رأس إنسان، ويحصل ذلك خصوصاً عند الخروج من تعز». ويحرص الرجال في اليمن على التزين بـ«المشاقر» من خلال وضعها في الجيوب لمنح رائحة زكية. وجرت العادة في بعض المناطق أن تقطف النساء المشاقر الجمعة وتمنحها للأطفال الصغار لتوزيعها على المصلين في المسجد بهدف نيل البركات. ويشم الرجل «المشقر»، ويصلي على النبي تعبيراً عن إعجابه بالرائحة الزكية والعطرة لـ«المشقر». ويقول الصحافي محمد أمين الشرعبي لـ«العربي الجديد»: «بالنسبة إلى رمزية المشاقر لليمنيين، فهي تدخل في كثير من الطقوس الاجتماعية من أفراح وأتراح، ولها أيضاً ارتباطات اجتماعية أخرى. في البيت يعد المشقار الذي توضع فيه المشاقر من أهم مكونات الديكور الريفي. وتتضمن المشاقر 9 أنواع من النباتات العطرية، ووضعها في سطح المنزل جزء من ديكور البيت». يضيف: «يستخدم المشقر أيضاً في علاج بعض الأمراض، وأيضاً في الطهي، علماً أن نباتات كثيرة تدخل في مكونات أكلات يمنية مختلفة. كما تعتبر المشاقر من ضمن الهندام القديم للرجل والمرأة، فالمرأة تضعه في مقرمة الرأس، وكلما احتوى المشقر على أكثر من نوع من الورود كان مميزاً، والرجل يضعه في المشدة الموضوعة على رأسه.

باختصار

«المشاقر» ورودٌ ونباتات عطرية متنوعة في الشكل والرائحة، تستخدم في الزينة للرجال والنساء، كما ترتبط بالموروث الثقافي لليمنيين

■■■

تتزين النساء بباقات متنوعة من «المشاقر»، توضع بعضها على الخدود ملفوفة بالمقرمة المعصوبة على رؤوسهن

■■■

يتزين العديد من الرجال الكبار في السن بـ«المشاقر»، ويضعونها أغطية للرأس

وأخيراً

النيوزيلندية التي تزوّجت بدوياً

معن البياري

نادراً ما تُصادف في الدكاكين، في المواقع الأثرية في المدن العربية ذات الجاذبية السياحية، كتباً بالعربية عن المكان وتاريخه. تلقاها قليلةً بين التذكارات والألبسة الخفيفة منوّعة الألوان والقبّعات والمسابح والقلائد والنحاسّيات والأواني والمجسّمات والأشكال الخشبية والمصنوعات اليدوية، وغير ذلك من مشغولاتٍ جذّابةٍ تُغري بالشراء (الأسعار مرتفعة والمفاصلة مع البائع تحتاج خبرةً خاصّة). بين هذه كلها كتبٌ، بالانكليزية غالباً في المشرق، وبالفرنسية في المغارب، مندسّةٌ بين هذه الأشياء، قليلة، تُفصح عن تجاريّتها، بورقها المصقول غالباً، وبالصور الملوّنة فيها. كتبٌ تُشعرك بأنك عابرٌ وحسب، لن تكترث بها، ولا تفترضُ أن فيها ما قد يُسعفك بالمعرفة التي تُريد، سيّما إذا كنتَ مُتطلباً في ما تقرأ وما لا تقرأ. وإذا تصفّحتَ هذه الكتب التي تبدو نافلةً في المكان، إذا كانت بالعربية خصوصاً، لفضولٍ فيك، ثم سألتَ عن سعرها تصنّعاً منك أمام البائع أنك تريد الشراء، الأرجح أنك ستُعيدها إلى مكانها.

هذا ما أعهدُه فيّ، وأظنّ كثيرين بلا عددٍ من قماشتي، عندما أستطيب أن تجول عيناي في هذه الدكاكين، الأنيقة، وأفتّش عن كتبٍ ومجلّات، بقليل من الاكتراث. غير أن الذي وقع معي في دكانٍ لبيع المقتنيات السياحية، في البترا، الأسبوع الماضي، مختلف، إذ صادَفت عيناي نسختيْن يتيمتيْن من كتابٍ بالإنكليزية وترجمته بالعربية، «تزوّجتُ بدوياً». سألت عن سعره، فوجدته معقولاً (بالنظر إلى حيث نحن سياحياً). وعندما أقرأ أنها الطبعة الأولى بالعربية، وقد صدرت في 2008 (مكتبة العبيكان في الرياض بدعم من مؤسّسة محمد بن راشد آل مكتوم في دبي)، يغشاني حرجٌ طفيفٌ، فلم أسمع عنه منذ نشره قبل 16 عاماً. استشعرتُ أنه كتابٌ لا يتّصف بالذي نفترضه من «صورة مسبقة نمطية» عن الكتب في دكاكين المواقع السياحية الأثرية، ولكن قراءته جيّداً وحدَها التي تحسم هذا الانطباع، المتسرّع ربّما. وقد بان تالياً أنه كتابٌ عظيم الفائدة في معرفةٍ اجتماعيةٍ وثقافيةٍ عميقة ببدو المكان، هنا في البترا، حيث أقامت صاحبة السيرة التي يضمّها هذا الكتاب، الذي صدر بالإنكليزية في 2006، وتُرجم إلى 14 لغة، وزادت طبعاتُه عن العشرين.

ليس من كتابٍ سابق للنيوزيلندية مارغريت فانٍ غيلديرملسين، ولا لاحق. ضمّنته سيرتها زوجةً لبائع السلع التذكارية في البترا محمد عبد الله عثمان، وعاشت معه في خيمةٍ في كهف في المدينة الأثرية نحو 32 عاماً، وأنجبت منه بنتاً وولديْن. وفي هذه السنوات، سافرت معه، قبل أن يرحل في العام 2002، إلى بلدها نيوزيلندا وغير بلد، وزارها أهلُها وأصدقاؤها حيث كانت في الكهف، ثم في قرية مجاورة. كتبت عن هذه التجربة الإنسانية الفريدة، بحبٍّ كثير، بصراحة قُصوى، عن أوروبيّتها التي لم تُغادرها، وعن البداوة التي تشرّبتها وسكنتها، عن زوجها الذي أُعجبت به، وأخلص لها وأخلصت له، وقد أخبرت قارئ كتابها، الشائق حقّا، إن حبّها محمّد هو ما كان يدفعها إلى البقاء زوجة معه، حيث هو وأهلُه وناسه. لا تأتي على واقعة زعل بينهما، أو عنفٍ بدر منه، أو أمر ساءها منه (ربما آثرت عدم المرور على «أحداثٍ» صغرى مثل هذه لم تر أنها تستحقّ التوقف عندها). تأتي على عملها ممرّضة هناك، بين بدو المكان، وغبطتها بعملها. تروي عما ترى كما يجب أن يُرى، فلا تعني الآلفة مع المكان وتفاصيله أنه بديعٌ ومريح بالضرورة. لا تبدو متحاملةً عندما تقول ما تقول عن نقصان النظافة، وعن عدم حرص البدو على تنظيف الأواني، ولا عندما تنقل عنهم قولهم إن البدوي إذا صار ميسوراً، أو غنياً، يشتري حصاناً أو بندقية او يتزوّج ثانية، ولا تبدو مدّاحة عندما تُخبر عن نظافةٍ تستجدّ في الكهف والخيمة.

> ضمّنت النيوزيلندية مارغريت فان غيلديرملسين كتابها سيرتها زوجةً لبدوي بائع سلع تذكارية في البترا

تخبرنا في الكتاب عن تجربة إنسانيةٍ، فريدة حقاً، ثم في مختتمه عن مغادرتها جنوب الأردن إلى أستراليا، بعد وفاة زوجها، وعن أبنائها الذين كبروا وتعلموا. بعد أن أبلغتنا عن حبّها أكلة الخبيزة مطهوّة وذات حرارة، مع خبز الطابون، وعن اتخاذها سنّاً ذهبية (غطاء ذهبي) في يوم مشمس، لتصبح كما البدويات حقّاً، وقد صنع لها هذا «نَوريٌّ»، يختلف في هيئته عن الناس. أخبرتْنا عن كثيرٍ مما لا استشراق فيه أبداً. كتبت، قبل أن يودّع قرّاءً كتابها حكايَتها البالغة العاطفية، أن البدو لم يعودوا ينصُبون خيام الشعر على طول متن الجبل، هناك في وادي موسى، ولم يعودوا يرومون كهوفها القديمة الآمنة، أو ينامون تحت ضوء النجوم...
نعم، رأينا بدواً هناك، ولم نر خياماً، ولا ناساً منهم يقيمون في كهوف.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**